

189207 - ملحد يتتساءل لماذا يبغضونني ؟

السؤال

صادفت هذا الموقع منذ فترة ، وأثار اهتمامي ، ولكن شعرت بقليل من عدم الطمأنينة حول ما تمت كتابته ، وبما أنني لست مسلما فأنا أعلم أنكم تكرهوني ، وقد ذكرتم في إجاباتكم على العديد من الأسئلة التي يرسلها الناس بوجوب بغض الكفار ، وتقول أيضاً بأنك لا تستطيع أن تدرك لماذا يعتني بهم الناس ويحبونهم ، في وجهة نظري أنك تراني كأقل شيء في الوجود يفترض أن يكره ، لماذا ؟ ماذا فعلت لك ؟ أشعر بالسب عندما تلومني على الأفعال ، فأنا لم أرتكب جرائم ، ولم أتحدث للأخرين ، وأتحدث فقط لنفسي ، كيف ينبغي أن اعتنق الإسلام بينما أحاط بآناس يبغضوني ؟!

الإجابة المفصلة

نشكر لك صرحتك وجرأتك في إرسال هذا السؤال ، وتأكد أن الجواب عليه من دواعي سرورنا ، فقلوبنا وقلب كل مسلم مليئة بالرحمة والشفقة على جميع الخلق ، مؤمنهم وكافرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، أبيضهم وأسودهم ؛ كلهم بني آدم ، وآدم من تراب ، فالآدمية التي تجمعنا تذكرنا نحن المسلمين بأن أبانا آدم عليه السلام أخرجته معصيته من الجنة ، فعاد ذلك على ذريته بالابتلاء ما بقيت الدنيا ، فمن بقي على فطرة التوحيد التي كان عليها آدم عليه السلام فاز ونجا ورجع إلى وطنه الأصلي الذي هو جنة الخلد عند رب العالمين ، ومن تخطفته الأهواء والأدواء من بني آدم مادت به إلى الخسارة الحقيقة ، وحرم الرجوع إلى جنان الخلد التي أخرج منها أبونا آدم عليه السلام .

قال رسولنا صلى الله عليه وسلم :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ, أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ, وَإِنَّ أَبَّاكُمْ وَاحِدٌ, أَلَا لَأَفْضُلُ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ, وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ, وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ, وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ, إِلَّا بِالثَّقَوْيِ)

حديث صحيح ، رواه أحمد في مسنده (23489 - الرسالة) .

من هنا تبدأ علاقتنا بك ، ومن هذه الفلسفة يطالب المسلم بالنظر إلى جميع الخلق ، أنهم سبى أعدائهم من نوازع النفس والشيطان ، ولا بد من إعانتهم جميعاً على تجاوز هذه القيود إلى حرية العلاقة بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ؛ الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ؛ وتلك رسالة أنبيائه المكرمين جميعاً .

وهكذا كان نبياناً محمد صلى الله عليه وسلم ، تذرف منه الدموع ، وينتفطر منه القلب ، وتتقطع نفسه رحمة وأسفًا على من لم يؤمن به ، ولم يلتحق بركبه الذي سيعيده إلى داره الأولى التي خلق لها وأخرج منها ، التي هي الجنة ، وقد استحقت تلك الشفقة العظيمة التي جوت قلب النبي صلى الله عليه وسلم أن يسجلها الله عز وجل في القرآن الكريم ، فقال مخاطباً له (فَلَعْلَكَ بَاخِعُ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا) الكهف/6، أي : " مهلك نفسك بحزنك عليهم " ينظر " تفسير القرآن العظيم " (5/137)

نحن لا نبغضك لشخصك ، إذ كيف نبغضك ونحن لا نعرفك ولم نلتقي بك ، نحن لم ننفر يوماً من لونك ، ولا جنسك ، ولا عائلتك ؛ نحن محرم علينا ذلك كله : أن نحب الناس أو نبغضهم لأجل ألوانهم ، أو أبائهم ، أو أمهاتهم ، أو آبائهم ، أو أنسابهم ؛ إنما بغضنا وعداوتنا للكفر والإلحاد

الذى تحمله في قلبك ، ويوشك أن يهلكك ، ويودي بك في عذاب الله الأبدي ، ويجلب عليك شقاء الدنيا والآخرة ؛ كم نحن مشفقون عليك من هذا الشقاء ، ساعون في إزالته عنك ، فليت أتنا استطعنا ذلك !!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ :

مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ !!

أَنْثُمْ بْنُو آدَمَ ؛ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ !!

لَيَدْعَنَ رِجَالٌ فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمٍ جَهَنَّمَ ؛ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَانَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفَهَا النَّّتَنَ) .
Hadith صحيح ، رواه أبو داود (5116) وغيره .

إننا نظنك توافقنا الرأي : أن من حق جميع البشر أن يعتقدوا بحب أو بغض أي فكر أو معتقد ، فذلك من مقتضيات الحريات التي تكفلها الدساتير الحديثة اليوم ، ولكن ليس من حق أي بشر أن يعامل من يخالفه في المعتقد بالظلم والأذى والخيانة ، والسعى في نزول الضر والشر به ، لمجرد اختلافهما في شأن المعتقد .

لو كنت تعيش بين مسلمين يلتزمون بحقيقة الإسلام لعشت حياة طيبة سعيدة ، ونلت حقوقاً قدمتها شريعة الإسلام قبل ألف وأربعين سنة ، لا تضاهيها الحقوق التي تقدمها المدنيات الحديثة ، وقد كانت الأرض يومئذ تموج بالظلم والطغيان وإلغاء كرامة الإنسان ، وأول هذه الحقوق حق تدينك بالمعتقد الذي تراه ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء والعلماء ، قال ابن العربي رحمة الله : " قال سائر علمائنا : تؤخذ الجزية من كل كافر ، وهو الصحيح " انتهى . " أحكام القرآن " (1/156) ونحوه في " تفسير القرطبي " (8/110)، وقال ابن القيم : " وهذا القول أصح في الدليل " انتهى . " زاد المعاد " (5/92). وإذا كان معتقدك هو اليهودية أو النصرانية أو المجوسية فلك الحرية الكاملة باتفاق الفقهاء ، فقد قال تعالى : (لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ) البقرة/256.

لو عشت بين المسلمين حقاً لأمنت على نفسك من أي ذريعة ، فقد قالنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم : (مَنْ قُتِلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِخْ رَأْيَحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوَجِّدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) رواه البخاري (رقم/6914)

ولو عشت بين المسلمين حقاً لأمنت على جميع أموالك من أي تعد ، فقد تبرأنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ممن اعتدى على مال غير المسلمين وقال : (أَمَّا الْمَالُ فَلَكُشْ مِنْهُ فِي شَيْءٍ) رواه البخاري (رقم/2731)

ولو عشت بين المسلمين وأصابك مرض أو ضر أو ابتلاء لتسارعوا إلى زيارتك والوقوف بجانبك رجاء ثواب الله عز وجل ؛ إنهم لن يزالوا طامعين في نجاتك من النار ، حتى وأنت على فراش الموت ؛ إنك - حينئذ - لن تملك لهم ضرا ولا نفعا ، ولا خفضا ولا رفعا ، هذا لو قدرنا أن أحداً يملكه في قوته وسلطانه ، إنهم لا يرجون منك في مثل تلك الحال ، إلا ما كانوا يرجونه لك ، وأنت على ما أنت عليه الآن : أن ينقذك الله من النار :

ألم تسمع بخبر نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم ؛ لقد كان له غلام يهودي ، يخدمه ويحسن صحبته (فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْوُدُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْلِمْ ، فَتَنَظَّرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ الظَّارِ) رواه البخاري (رقم/1356)

ولو كنت تعيش بين المسلمين حقا لفرض لك المجتمع نفقة شهرية تعينك على تكاليف الحياة ، ففي عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق ، وكانوا من النصارى : " وجعلت لهم : أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيما فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعييل من بيت مال المسلمين هو وعياله " انتهى من " الخراج " لأبي يوسف (ص144)

إن عنوان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وباختصار شديد : أنه رحمه .
قال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء/107. والله أعلم.

وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهَدَّدٌ) .
رواه الدارمي (15) وصححه الألباني .

ولو رحنا نسوق نماذج التسامح الإسلامي عبر تاريخ الدولة الإسلامية لاستغرق ذلك عشرات الصفحات ، فإن أردت التوسيع بالقراءة والمطالعة يمكنك مراجعة كتاب الأستاذ الدكتور عمر بن عبدالعزيز بعنوان " سماحة الإسلام " ، طباعة المكتبة الذهبية ، ومكتبة الأديب .

نسأل الله جل جلاله أن يهدي قلبك ، ويشرح صدرك ، ويأخذ بناصيتك إليه .